

دعوة إلي إنصاف عبدالرحمن فهمي وجدل جديد حول سعد زغول في ندوة «تسعون عاماً علي ثورة 1919»

16 مارس 2009

كتبت: رشا حسني - هبة إسماعيل

اختتمت مساء الخميس الماضي الندوة السنوية للجمعية المصرية للدراسات التاريخية التي أقيمت بالمجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان "تسعون عاماً علي ثورة 1919" وامتدت جلساتها علي مدار ثلاثة أيام.

وتضمنت توصيات الندوة أربع نقاط رئيسية هي: الاهتمام بعقد الندوات التي تبرز الثورات العربية التحريرية وإنجازاتها الحضارية، وزيادة الاهتمام بتاريخ القضية الفلسطينية والدور المصري والعربي لدعمها، وعقد ورشة عمل ابتداء من العام القادم في ختام الندوة السنوية للجمعية تتخذ شكل الحلقة النقاشية لتقييم أهم الأبحاث التي عالجتها الندوة. إضافة للمطالبة بإقامة تمثال رمزي لشهداء ثورة 1919، وتمثيل أخري لأهم قادة الثورة الذين لم يحظ تاريخهم بالاهتمام الكافي، مثل رئيس الجهاز السري لثورة 1919 عبدالرحمن فهمي.

وبرغم أهمية معظم الأبحاث التي نوقشت خلال الجلسات السبع للندوة، فقد كانت القنوات السياسية حاضرة بقوة خلال المناقشات والمداخلات ولم يخل الأمر من استحضار زعماء آخرين ومقارنتهم بسعد زغول، الذي اتفق معظم الباحثين علي الاعتراف بدوره في إطار الظرف السياسي والاجتماعي الذي قامت فيه ثورة 1919 لكن بعضهم اعتبروه زعيما غير ثوري.

شهدت جلسات اليوم الأول حضورا مكتفا سرعان ما تضاءل ليقتصر علي الأكاديميين فحسب في اليوم الأخير للندوة، وكان من اللافت غياب قيادات حزب الوفد عن الجلسة الافتتاحية التي تضمنت كلمات مقتضبة لكل من الدكتور عادل غنيم رئيس الجمعية والدكتور عماد أبو غازي أمين عام اللجان بالمجلس والدكتور عاصم الدسوقي مقرر الندوة الذي استهلها بالإشارة إلي أن السبب الرئيسي لإقامة الاحتفالية في هذا التوقيت يرجع إلي جانب سياسي وآخر أكاديمي إذ إن استلهم ثورة 1919 يحمل تأكيدا علي روح الشعب المصري النضالية التي تنتفض وإن طالبت استكانتها الظاهرية كما أن الحاجة لا تتوقف عن إعادة دراسة الوقائع التاريخية المهمة، فالتاريخ علم يدور في فلك الفلسفة ومن ثم يطرح تساؤلات جديدة ولا يصل إلي إجابات نهائية.

بينما سلط الدكتور عماد أبو غازي الضوء علي المميزات التي تفرقت بها ثورة 1919 بوصفها ذروة كفاح الشعب المصري ضد الاحتلال، مشيرا إلي ما جسده من طموحات شعبية وما ابتكرته من آليات للحشد الشعبي ممثلا في التوكيلات التي سبقت قيام الثورة.

أما دكتور غنيم فقد دعا الحضور للوقوف للوقوف دقيقة وفاء لروح **الدكتور رؤوف عباس**، مؤكدا علي البدء في تنفيذ التقليد الذي اتفق عليه أعضاء الجمعية بتخصيص محاضرة عامة في كل مؤتمر سنوي تقيمه الجمعية يلقها أحد المفكرين العرب تحية للراحل الكريم، مشيرا إلي اختيار الدكتور جابر عصفور أمين عام المركز القومي للترجمة لإلقاء أولي هذه المحاضرات.

تحت عنوان "التنوع الثقافي" ألقى الدكتور عصفور المحاضرة الافتتاحية علي مدي ساعة ونصف الساعة تتبع خلالها نشأة هذا المصطلح غريبا وعربيا، مشيرا إلي حدائته وارتباطه بحاجة العالم إلي نوع من "الخرائط العقلية المعرفية". ووصف د. عصفور مايجري علي الساحة العربية بأنه تنوع غير خلاق يقوم علي القسر أو القمع منبها إلي خطورة الوضع في دول الخليج، وساق مثلا بدولة الإمارات العربية التي لا تتعدي نسبة مواطنيها الأصليين 12% من إجمالي عدد السكان وبرغم ذلك لا يمنح الوافدون إليها من جنسيات أخري أي مزايا تشجعهم علي الانتماء للبلاد برغم أن بعضهم وبخاصة الهنود استوطنوا البلاد لأكثر من ستة أجيال متتالية، وقال عصفور

إن تلك المشكلة تمثل ورقة ضغط تؤجل القوي الدولية الكبرى استخدامها ضد دول الخليج إلى أن يأتي وقتها لاتهام تلك الدول بالعنصرية.

أما الجلسة الأولى للمؤتمر والتي اختتمت بها فعاليات اليوم الأول فقد ترأسها خبير العلوم الاجتماعية السيد ياسين، وشهدت مناقشات ساخنة في أعقاب إلقاء الكاتب محمد يوسف ورقته البحثية "محمد فريد المناضل المنسي: الإرهاب الأول للثورة" استعرض خلالها جانباً من الوثائق التي ترجع للفترة من 1909 و1910 وتشير إلى مبادرة سعد زغول لتمديد الامتياز الأجنبي لقناة السويس أربعين عاماً أخرى لتنتهي وفقاً لذلك عام 2008.

التاريخ بالصورة

فيما تناول الدكتور مجدي عبد الحافظ شخصية المؤرخ صبري السوربوني الذي سبق إلى تدوين التاريخ عبر الاستعانة بالصورة وابتكر أساليب جديدة للوصول إلى عقل القاريء الغربي وإقناعه بعدالة القضية المصرية. وخصص الدكتور محمد نصر مهنا دراسته لتناول ثورة 1919 في الوثائق البريطانية وبين أنها بالرغم من نظرتها الاستعمارية تتفق في روايتها لأحداث الثورة مع المصادر المصرية.

شهد اليوم الثاني للمؤتمر ثلاث جلسات، ففي الجلسة الثانية للندوة جدد محمد يوسف عضو الأمانة العامة للمؤتمر الناصري العام اتهاماته لسعد زغول بأنه سرق مجد الثورة من محمد فريد والشعب، ورفض التوجه القائل بأن ثورة 1919 استمدت روحها من الثورة الفرنسية أو الحركة الماركسية أو البلشفية عام 1917 وطالب الباحثين بمراجعة أنفسهم لأن الشعب المصري له حضارة تسبق كل الشعوب جاءت تلك المداخل في أعقاب تقديم د. سيد عشاوي أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة القاهرة ورقة بحثية بعنوان "البلشفية وثورة 1919" قال فيها إن ثورة 19 لم تكن بلشفية بالمعنى الحقيقي رغم وجود بلاشفة في مصر، وعرض ثيودور رودشتين سكرتير لينين الخاص وصاحب كتاب "خراب مصر" علي سعد زغول تقديم المساعدة لمناصرة الحركة التحررية المصرية، لكن سعد رفض خوفاً من الصراع الطبقي في مصر، واتهمت ثورة 19 بالبلشفية لأن صداها تردد في كل أنحاء مصر وكان هناك بعض المصريين لهم علاقة بالبلشفة، وتأسس الحزب الاشتراكي في مصر عام 1921 وتحول لشيوعي عام 1923 وضربه سعد زغول بعد ذلك ورفض المنشورات التي تؤيد البلشفية لأنها تضر بالثورة".

ووضح عشاوي أن القول بأن ثورة 19 مرتبطة بالحركة الماركسية خطاب أيديولوجي مزيف ولكن ذلك لا ينفي بأن البلشفية لها تأثير سابق أو لاحق عليها، والدليل فتوة الشيخ التفتازاني ضد البلشفية، وهيستريا الشيوعية التي تركت تأثيرها علي خطاب المصريين".

شعارات حاضرة

وقدم المفكر التونسي الدكتور العفيف الأخضر ورقة بعنوان "الثورة فلسفياً وتاريخياً" استعرض خلالها أربعة مفاهيم للثورة "العلمية، الصناعية، تنوير الأخلاق والتقاليد، والثورة السياسية".

وأكد الأخضر أن لكل ثورة رمزاً وقائداً، فكان عبدالناصر رمزاً لثورة يوليو ولم يكن فاعلها بمفرده وكذلك لا يمكن انتزاع زعامة ثورة 19 من سعد زغول أو وصفها بالفشل فهذا الأمر نسبي وشعارات الثورة مازالت موجودة حتى الآن.

وفي الجلسة الثالثة قدم د. جمال شقرة ورقة بحثية حول رؤية عبد الناصر لثورة 1919.

وقال: "افتعل بعض المثقفين المنتمين للمرحلة الليبرالية اشتباكاً بين ثورة 19 وثورة 23 يوليو مما جعل أنصار كل منهما يهاجم الآخر، وهذا ناجم عن قياس غير موضوعي للثورتين متناسين ظروف كل منهما، وقال إنه من غير المقبول أن يشوه التاريخ علي يد السياسة ومناوراتها التي تحدث حتى الآن، فهناك كتابات كثيرة حاولت أن تتهجم علي ثورة 19 وهي لا تمت للتاريخ بصلة وكانت هناك كتب هدفها الأساسي خدمة نظام ما بعد ثورة يوليو دون توجيه أو موافقة من عبد الناصر، وأيضاً تحمل الدوريات التي صدرت عن ثورة يوليو من قبل الوفديين اتهامات لتشويه عبدالناصر والثورة، وبين هذين الفريقين شوه التاريخ المصري فارتكبت جريمة بشعة في حق الأجيال القادمة بلجوء القوي السياسية للتاريخ لخدمة مستقبلها".

ازدهار فني

وشهدت الجلسة الرابعة حضوراً مكثفاً، للشباب، وقدم د. عماد أبوغازي ورقة بحثية بعنوان "ثورة 1919 والفن".

وأشار د. عماد إلي أن "ثورة 19 كانت علامة فارقة في العصر الحديث وأنها الحدث الإيجابي في مصر خلال القرن العشرين، وعبرت الفنون والآداب بشكل من الأشكال عن الثورة وتأثرت، بها ففي الرواية كانت الثورة في خلفية أهم الروايات العربية "عودة الروح" للحكيم و"بين القصرين" لنجيب محفوظ.

وفي الفن التشكيلي تجلت أعمال محمود مختار الذي رسخ لفكرة ربط الزعيم بالشعب، وكان تمثال نهضة مصر- الذي تبلورت فكرته أثناء الثورة وأزيح عنه الستار بعد الثورة بتسعة أعوام- في مقدمة الأعمال الفنية المعبرة عن الثورة والمستلهمة لروحها، كما شيد مختار مجموعة تماثيل لسعد زغلول أراد أن يعبر من خلالها عن الأمة المصرية وتفاعلها مع زعمائها.

وكان سيد درويش نموذجاً آخر للتعبير الفني عن الثورة وتمثلت في أعماله الفنية القيم الأساسية للثورة والدستور والمواطنة والوطنية ووحدة الأمة.

وفي اليوم الثالث جاءت الجلسة الخامسة للندوة لتعني حال المثقف المصري من خلال ورقة د. محمد عبد الرحمن برج "المثقفون وثورة 1919".

وقال د. عبدالرحمن "لست وحدي من يشعر بالحزن لما وصل إليه حال المثقف المصري، هذا الموقف الناتج عن ضعف الانتماء، وهنا تكمن الخطورة، فنورة 19 تختلف عن غيرها من الثورات في أن المجتمع المدني هو الذي قادها من خلال المثقفين المصريين لذلك أدعو إلي مشروع قومي يلتف حوله أبناء هذا الجيل وتدعيم روح الانتماء لهذا الوطن".

وعلق د. رفعت السعيد رئيس حزب التجمع الذي ترأس الجلسة بأن ثورة 1919 مازالت تحتاج الكثير من الدراسات خاصة بعد فترة كبيرة من إنكارها، حتي بعض الكتابات التي كتبت عنها تنسم بالغموض مؤكداً أن دور المثقفين في الثورة ليس فقط باستثارة الجماهير ولكن بخوضهم معركة مصر للمصريين" >

<http://www.elbadeel.net/index.php?option=content&task=view&id=48955>